أوري غولدبرغ (*)

منظور إسرائيل إزاء إيران كشاهد على الاتجاهات الحالية لدى المجتمع الإسرائيلي

طهران، مثل عواصم الشرق الأوسط الأخرى، هي جنّة بائعي الصحف. في إيران تصدر عشرات (إن لم يكن مئات) الصحف اليومية بانتظام. والكثير منها ينتشر في أكشاك بيع الصحف للاستهلاك العام. كيهان هي واحدة من أشهر وأبرز الصحف في إيران، والتي اعتبرت لبعض الوقت متماثلة مع القوى المحافظة المحيطة بالمرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، علي خامينئي. وفي اليوم التالي على توقيع الاتفاق المؤقت بين إيران والدول الخمس +1 (P5+1) بشأن البرنامج النووي الإيراني شككت عناوين وافتتاحيات كيهان بفعالية المقاربة التي اعتمدها الفريق الإيراني في جنيف. المواطنون المارّة انحنوا ليتصفّحوا، كما فعلوا في كلّ يوم، وانطلقت بعد ذلك هتافات عفوية حول أحد أكشاك الصحف: "كيهان، إسرائيل، نقدّم لكم تعازينا على حدّ سواء".

تقدّم هذه الطرفة لمحة عن الوضع الراهن في إيران. ومن المثير للاهتمام أيضًا أنها تقوم بعمل جيّد يعكس المشاعر الإسرائيلية حول إيران. يقدم هذا المقال القصير بعض الأفكار حول الأحداث في إيران خلال العام الماضي، تركز في معظمها على انتخاب حسن روحاني في حزيران رئيسًا للجمهورية الإسلامية الإيرانية. وسننتقل بعد ذلك إلى إسرائيل لنتناول المنظور الإسرائيلي للأحداث في إيران كشاهد على الاتجاهات الحالية في المجتمع الإسرائيلي.

إيران – من الإفراط إلى الاعتدال

يعدّ الاتفاق المؤقت بين إيران والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي (+ألمانيا) ببساطة أكبر حدث إقليمي

(*) محاضر في جامعة تل أبيب.

خلال فترة طويلة. ومع ذلك، فالاتفاق مدين بوجوده إلى النتائج المفاجئة للانتخابات الرئاسية التي جرت في ١٤ حزيران. لقد سيطرت على الفترة بين عام ٢٠٠٥ وعام ٢٠١٣ صورة ورسائل الرئيس محمود أحمدي نجاد المثيرة للجدل. خلال أول خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة شعر أحمدي نجاد أنه محاط بنور إلهي، وأنه استحضر على كتفه الوجود الوافي للإمام الشيعي الثاني عشر. وحافظ نجاد على علاقة وثيقة مع الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز وطرح نفسه حليفًا لشافيز في النضال ضد الإمبريالية العالمية (وبشكل خاص الإمبريالية الأميركية). وكان أحمدي نجاد نصيرًا للسياسة الاقتصادية الراديكالية مزوّدًا ودائع نقدية مباشرة للحسابات المصرفية للأكثر فقرًا في إيران، ومقدمًا الدعم الحكومي للاقتصاد، ممّا أدّى إلى تضخم مصحوب بركود اقتصادي.

هذه مجرد أمثلة قليلة ترمي إلى إظهار السمة الرئيسية لإدارة أحمدي نجاد. كانت تلك فترة اتّسمت بمستوىً عالٍ من السياسة المطلقة، ولم تكن هناك فكرة أو سياسة جديرة بالمتابعة إذا لم تجر متابعتها بإخلاص إلى أبعد حدّ، وكذلك بأعلى صوت أو مقدار. كان أحمدي نجاد سياسيًا داهية ينحت الموضع اللائق به بصفته ممثلاً للطبقات الدنيا في إيران. ولكونه معروفًا بأنه مرتدٍ للملابس الرثة فقد سُئل ذات مرّة ما إذا كانت هذه الملابس الهزيلة مناسبة لزعيم مثل هذه الأمّة العظيمة. وقد رُوي أنه أجاب أن هذه الملابس ملائمة تمامًا لعبدٍ لبلده وشعبه. ومع ذلك رأى السياسة مشروعًا للتطرف، واعتقد أن الأجندة الوحيدة التي تستحق التعزيز هي الأجندة الجذرية.

يعتبر العديد من المراقبين هذا الوضع ممثلاً حقيقيًا للروح التي تقوم عليها الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وأنا أقترح أن هذا ليس هو واقع الحال. فالثورة التي جرت عام ١٩٧٩ كانت بطبيعتها غير أصولية، ومخلوقها الرئيسي المتمثل بالجمهورية الإسلامية كان تجربة لم يسبق لها مثيل، كما كان بعيدًا عن خلافة القرن السابع التي تسعى إليها بفارغ الصبر المنظمات الجهادية السنّية. وعندما طالب آية الله الخميني بالسلطة السياسية لفقهاء الشيعة فقد فعل ذلك زاعمًا أنهم كانوا الوحيدين القادرين على ممارسة السلطة. "الحقيقي" بالنسبة إلى الخميني كان يعني التوسط في السلطة. وقد أسس الفقهاء رأسمالهم الاجتماعي والسياسي على قدرتهم على التفسير. يمكنهم تفسير شريعة الله وجعلها ذات مغزى في سياقات مختلفة لشعب يعيش في عالم معاصر. ويمكنهم أيضًا أن يوفروا لحياة الجمهور (الرعية) المعنى وتفسير أعمال البشر بلغة إلهية خاصّة بالفضيلة أو الشر.

حسن روحاني: وجه جديد لإيران.

ادّعى الخميني أن القيادة يجب أن تكون قادرة على إنجاز هذا العمل المعقد بنجاح رغم المصاعب على أساس يوميّ.

كان هذا اللاهوت التأويلي لبّ السياسة الثورية الشيعية قبل وقت طويل من أحداث عام ١٩٧٩، واستمر ذلك بتوجيه تصور الخميني الذاتي لقيادته. وعلى المستوى الأبسط والأوضح كان الخميني قائدًا قادرًا على تغيير رأيه، ورأى أن بيئته قابلة للتعديل وقاعدة لصراع دائم ومنافسة وتعاون مع جيرانه.

معارضة أحمدي نجاد البلاغية والفعالة على حدّ سواء لهذا التفسير ، هي التي صاغت ولايته كرئيس للبلاد. وقد سعى إلى علاقات محدّدة المعالم حين أمكن ذلك، واحتاج للسيطرة على خصومه وتمجيد حلفائه، واضطر أن فعل ذلك بصوت عالٍ. وإذا ما ذكّرك ذلك بالرئيس الأميركي السابق فأنا متفق معك. وغالبًا ما كانت تعتبر إدارة أحمدي نجاد "سيركًا" من نوع رديء، مسلٍّ لبعض الوقت ولكنه مثير للأعصاب بعد اللقاء الثاني أو الثالث. الكثيرون في إيران اعتبروها صورة زائفة للثورة، وممارسة التطرف الذي من المؤكد أنه سيتوج باغتراب واسع وعدم قدرة على إنجاز تغيير حقيقي أو تحسين في جودة الحياة.

كانت الانتخابات الرئاسية العام ٢٠١٣، وعلى نحو فعّال، استفتاءً على جاذبية راديكالية أحمدي نجاد. لقد جرى استبعاد العديد من المرشحين البارزين قبل الانتخابات من قبل مجلس الشورى، أحدهم هو مشائي، الوريث الواضح لأحمدي نجاد. الشخص الآخر الذي جرى استبعاده بشكل لا يمكن تصوره هو هاشمي رفسنجاني إحدى الشخصيات الأوسع نفوذًا في إيران والذي شغل منصب الرئيس في السابق، وكان الرئيس الدائم لـ "مجلس تشخيص مصلحة النظام". السبب الرسمي لاستبعاده من الانتخابات هو سِنّه الذي من شأنه أن يعيقه عن أداء واجبات الرئيس بشكل فعّال. كانت البلاد وبشكل غير رسمي حافلة بالشائعات، وعُرف عن رفسنجاني أنه كان ينتقد القمع العنيف

وظهر بعد حملة ساخنة شهدت جدالات وانتقادات بين المرشحين أنفسهم وصلت مستويات غير مسبوقة، الفائز بمثابة مفاجأة. المعلقون الذين لاحظوا ترشيح حسن روحاني لم يتوقعوا عمليًا أن يخرج منتصرًا. ومن بين أولئك الذين فكروا في أمر فوز روحاني لم يتوقع أحد فوزًا في الجولة الأولى يلغي الحاجة إلى جولة ثانية اعتُقد عمومًا أنه لا مفرّ منها.

الذي مورس بعد انتخابات العام ٢٠٠٩. وقد جرت محاكمة ابنته، فايزة، وأدينت بتهمة نشر الدعاية ضد الجمهورية الإسلامية. وتحدث الكثيرون عن رفسنجاني باعتباره المرشح الوحيد الذي يستطيع إنقاذ إيران من تطرف القيادة الراديكالية. وبعَيد تجريده من الأهلية للترشح، عشية الحملة الانتخابية، بدا من المؤكد أن الراديكاليين على وشك تعزيز قبضتهم على السلطة.

وقد ضاعفت قائمة المرشحين التي أُقرّت لخوض الانتخابات هذه التوقعات القاتمة. كان هناك سبعة مرشحين وجميعهم، باستثناء واحد، ذوو سجلّات محافظة لا تشوبها شائبة. وكان سعيد جليلي ممثلاً للعناصر الأكثر تشددًا وتعصبًا. ودخل الحملة الانتخابية بصفته كبير المفاوضين الإيرانيين مع المجموعة الدولية في المجال النووي؛ وآراؤه لم تترك أي مجال للمساومة في المسألة النووية أو أي مسألة أخرى في هذا الشأن. ادّعى العديد من النقاد في إيران وفي الخارج أن جليلي هو المرشح المفضل لدى القائد الأعلى، خامينئي. وقد أصبحت حملة جليلي أعلى صوتًا وأكثر اندفاعًا بعد هذه التوقعات التي جرت رغم أن القائد الأعلى لم يعلن عن رعايته ودعمه لأي مرشح.

المرشح الوحيد ذو الانتماءات المعروفة للحركة الخضراء هو محمد رضا عارف، وقد شغل منصب نائب رئيس الجمهورية في إدارة الرئيس الإصلاحي محمد خاتمي. وجاءت المعارضة الأكثر ديناميكية لجليلي من محمد باقر قاليباف رئيس بلدية طهران المحافظ والذي ينتمي إلى مجلس الحرس الثوري الإيراني. وبينما اعتُبر جليلي منظّرًا محافظًا (خاصة أنه لم تكن لديه أية خبرة سياسية ملموسة)، اعتُبر قاليباف تكنوقراطيًا ناجحًا. كما اعتُبر رئيسًا فعالاً جدًا للبلدية غيّر في مشهد مدينة طهران وفي إدارتها. وقدم قاليباف نفسه بصورة التكنوقراط وذلك من خلال نشر رسائل مختلطة ومتنوعة، وذلك تبعًا للجمهور المستمع. فقد تباهى أمام جمهور الحرس الثوري وافتخر بمشاركته في قمع الحكومة للمظاهرات المختلفة، بما في ذلك تلك التي جرت عقب انتخابات العام ٢٠٠٩، في حين مجّد أمام جمهور المحافظات المحلّي سِجلاّت إداراته والتزامه باستعادة "الهدوء والاستقرار" للبلاد.

وظهر بعد حملة ساخنة شهدت جدالات وانتقادات بين المرشحين أنفسهم وصلت مستويات غير مسبوقة، الفائز بمثابة مفاجأة. المعلقون الذين لاحظوا ترشيح حسن روحاني لم يتوقعوا عمليًا أن يخرج منتصراً. ومن بين أولئك الذين فكروا في أمر فوز روحاني لم يتوقع أحد فوزًا في الجولة الأولى يلغي الحاجة إلى جولة ثانية اعتُقد عمومًا أنه لا مفرّ منها.

بدا روحاني شخصية معروفة. كان فقيهًا وعالمًا دينيًا– قانونيًا برتبة أدنى وحصل على الدكتوراه من جامعة غلاسكو كالدونيان. وقد عمل سنوات عديدة سكرتيراً أول في مجلس الأمن القومي الأعلى في إيران وبعد أن ترك المنصب ظلّ الممثل الشخصي للمرشد الأعلى في المجلس. وكان روحاني قد شغل أيضًا منصب المفاوض النووي الإيراني بين العامين ٢٠٠٣ و ٢٠٠٥. وقد نشر في العام ٢٠١١ مذكرات شاملة يصف فيها ما يقارب سنتين من عمله كمفاوض، ويكشف فيها الكثير عن عملية صنع القرارات ذات الصلة وتشبثه كمحافظ معتدل بشكل مدروس.

ورغم أوراق اعتماده هذه، الثابتة والمألوفة، فقد أثبتت حملته الانتخابية وبشكل ملحوظ أنها هدامة. فقد حرص كثيراً جدًا على ألاّ ينفّر مؤيدين محتملين، والأهم من كل ذلك المرشد الأعلى. وفي أحيان كثيرة كان صمته ذا فعالية مثل كلماته؛ وكانت اجتماعاته ومسيراته الحاشدة ملاذًا آمنًا نسبيًا للطلاب والناشطين الشباب الذين دعوا علنًا للإفراج عن قادة الحركة الخضراء والسجناء السياسيين. لم ينضمّ روحاني إلى هذه الصرخات ولكنه لم يقمعها بأي شكل من الأشكال.

تحدث روحاني ضد تعزيز الإجراءات المتعلقة بالجو الأمني في جميع أرجاء البلاد وقال إنه كرئيس سوف يوسّع الاتصال بشبكة الإنترنت وسوف يتدخل بدرجة أقلّ في الشؤون الخاصة بالاحتشام العام وسيعزّز الاتصالات بين إيران والعالم. وعندما

كان من السهل نسبيًا على إسرائيل خلال ثماني سنوات من إدارة أحمدي نجاد توظيف مثل هذا الخطاب. لقد أشار أحمدي نجاد مرارًا وتكرارًا إلى إسرائيل كوكيل للإمبريالية الأميركية، باعتبارها خطأً تاريخيًا ونظامًا محتلاً. وانشغلت الجمهورية الإسلامية في عهده في إنكار المحرقة (الهولوكوست) بشكل علني. وغالبًا ما دعا إلى استفتاء لتقرير مستقبل فلسطين يقتصر على سلالة أولئك الذين عاشوا في البلاد عام ١٩٤٨ (وبذلك يستثني الغالبية العظمى من السكان اليهود في إسرائيل). وعند الردّ على خطبة مسهبة وعنيفة أخرى لأحمدي نجاد كان من السهل الادّعاء ليس فقط بالوقوف في الجانب الصحيح في النقاش وإنما أيضًا بالعقلانية.

هاجم المرشحون الآخرون تصريحات جليلي المحافظة ظلّ روحاني إيجابيًا في الغالب ومشدّدًا على ضرورة حلّ الأزمة النووية من خلال الحوار المكثف مع الغرب. وقد شدد على هذا الالتزام خلال أول مؤتمر صحافي عقده كرئيس منتخَب.

كان فوزه مذهلاً في الاتساع والعمق. وقد وصفه كيفان هاريس بالكلمات التالية:

"فاز روحاني بـ٥٠,٧٪ من أكثر من ٣٦ مليون صوت (نسبة المشاركة في الانتخابات ٧٢,٧٪). المرشح في المرتبة الثانية، رئيس بلدية طهران، محمد باقر قاليباف، حصل على ١٦,٦٪ فقط. أنماط التصويت توضّح مقياس النصر: في ١٩ محافظة من محافظات إيران البالغ عددها ٣١ حصل روحاني على نسبة من الأصوات أعلى من النسبة التي حصل عليها في طهران. فاز في كل المدن الإقليمية الكبرى، بما في ذلك مدن هي مسقط رأس منافسيه، وتلقى دعمًا هائلاً من الأقليات العرقية. حصل روحاني على ٨١٪ من الأصوات في مقاطعة بانيه الكردية الصغيرة على الحدود العراقية، وعلى ٨٦٪ في مقاطعة بالتش في سريباز المتاخمة لباكستان.

كان روحاني قد تحدث عن التعددية العرقية في اجتماعاته الانتخابية، ولاحظ الناس ذلك. وفي الوقت نفسه، ورغم أنه كان رجل الدين الوحيد في المنافسة فقد كانت نتائجه ردئية نسبيًا في مدينة قم الشيعية التي تشكل مركزًا لإعداد رجال الدين الشيعيين، حيث حصل هناك على ٣٨٪ من الأصوات. فإذا ما شهد فوزه على "العودة إلى السلطة الدينية" حسب تغريدات بعض المحللين الأميركيين، فإن المركز "اللاهوتي" لم يَبدُ مبتهجًا من هذا الموضوع".

يقع التحليل الشامل لانتخابات العام ٢٠١٣ خارج نطاق هذا المقال؛ فيما تكمن صلة الانتخابات الوثيقة بموضوع بحثنا في إظهارها الفعّال للروح الشيعية غير المتطرفة. الرئيس روحاني لا يصنَّف بسهولة بأنه "إصلاحي" أو "متشدد" وهو ملتزم بالعمل الدائم والتواصل مع البيئة الإيرانية ورفض العزل والانغلاق. وهو ملتزم بالعمل والاشتباك والاحتكاك مع جمهور مواطني الجمهورية الإسلامية، وعاقد العزم على الحد من سيطرة الدولة على الاتصال الاجتماعي. والأهمّ من كلّ ذلك أنه وصف انتصارَه بعبارة واضحة ومحددة عندما أطلق عليه "انتصار الاعتدال". وكان هذا في الحقيقة المفهوم الرئيسي المرتبط بحملته الانتخابية.

وبهذا المفهوم، من السهل أن نرى كيف أن انتصار روحاني وحضوره كرئيس عزّزا وأبرزا حاجة الوطن إلى التغيير حتى بين صفوف القيادة الإيرانية المحافظة. كما أن الشعور العاطفي الكامن خلف المظاهرة العفوية التي وُصفت في بداية المقال هو أوضح أيضًا. مكان إيران في الوسط، لديها المحافظون في الداخل وإسرائيل في الخارج. كلاهما يعتقدان أنهما قادران على احتضان الفضيلة ورفض الشر. لقد أظهر توقيع الاتفاق المؤقت مع الدول الخمس وألمانيا إلى أين تنتمي إيران حقاً. وأظهر أن أولئك المتمسكين بمواقف متطرفة مطلقة غير ملموسين.

إسرائيل - عُزلة دائمة

من الأسلم الافتراض، على نحوٍ مسلّ، ألاّ ترفض القيادة الإسرائيلية تصويرها من قبل المواطنين الإيرانيين العاديين الذين يقدّمون التعازي لها. كان الساسة الإسرائيليون، وبشكل خاص رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو، ولا يزالون يحاولون "تحذير العالم" من برنامج إيران النووي منذ حوالي عقد من الزمن، وربما منذ فترة أطول. وقد صوّر قادة إسرائيل أنفسهم بأنهم يتخذون

إيران: القوة الميدانية تتحول لثقل سياسي.

موقف الفضيلة الراقي الموجّه ضد ما وصفوه التزام إيران بإبادة إسرائيل. لقد جرى وصف إسرائيل بأنها معقل "العالم الحرّ"، الذي يخوض حربًا نبيلة ضد التطرف الإسلامي (والديني) وتكتيكاته الإرهابية المألوفة.

كان من السهل نسبيًا على إسرائيل خلال ثماني سنوات من إدارة أحمدي نجاد توظيف مثل هذا الخطاب. لقد أشار أحمدي نجاد مرارًا وتكرارًا إلى إسرائيل كوكيل للإمبريالية الأميركية، باعتبارها خطأ تاريخيًا ونظامًا محتلاً. وانشغلت الجمهورية الإسلامية في عهده في إنكار المحرقة (الهولوكوست) بشكل علني. وغالبًا ما دعا إلى استفتاء لتقرير مستقبل فلسطين يقتصر على سلالة أولئك الذين عاشوا في البلاد عام ١٩٤٨ (وبذلك يستثني الغالبية العظمى من السكان اليهود في إسرائيل). وعند الردّ على خطبة مسهبة وعنيفة أخرى لأحمدي نجاد كان من السهل الادّعاء ليس فقط بالوقوف في الجانب الصحيح في النقاش وإنما أيضًا بالعقلانية. لقد وصف قادة إسرائيل الجمهورية الإسلامية بأنها غير عقلانية بشكل عميق وأنها مقيّدة بإيمان متعصّب يشكل خطة رئيسية تلهم أعمال إيران اليومية في دعم الإرهاب.

بدأ هذا الانقسام الواضح إلى قسمين يتغير بعد انتخاب روحاني. وبعد الانتخابات مباشرة كانت هناك أصوات ادّعت أن المرشد الأعلى خامينئي هو صانع القرار النهائي في إيران وأن انتصار شخص "معتدل" مثل روحاني هو خدعة تهدف إلى منح إيران المزيد من الوقت في محاولتها تصنيع قنبلة نووية. هذه الأصوات أخمدت بسرعة حين رحّب العالم بروحاني وخطابه المعتدل بأذرع مفتوحة. ومع ذلك، لم يحتضن القادة الإسرائيليون روحاني وتمترسوا في ما اعتبروه المستوى العالي الأخلاقي والواقعي محذرين العالم من الخضوع لـ "هجوم سحريّ" من قبل روحاني. الإيرانيون الآن مذنبون بـ"النفاق" وليس فقط باللاعقلانية.

وعندما بدت إمكانية اتفاق نووي مع الغرب (أو بالأحرى مع الدول الخمس+١) أكثر وضوحًا واصل الإسرائيليون تلفيق فكرة الازدواجية الإيرانية أو النفاق الإيراني. وقال نتنياهو إن الاتفاق هو "اتفاق سيء، اتفاق سيء جدًا". كان سيئًا للغاية لأن إيران لم تُجبَر على التراجع عن منشآتها النووية أو التخلي على نحو فعّال عن الأصول المادية المتعلقة بالبرنامج النووي. كيف نجح الإيرانيون في الحصول على مثل هذه التنازلات؟ كانت الصحافة الإسرائيلية طافحة بعناوين مثل "البازار الفارسي في جنيف". وكان المعنى الضمني واضحًا؛ الهاجس الوجودي حول سلامة إسرائيل وسلامة العالم الأوسع كانا هما الدافع وراء قلق إسرائيل ورئيس حكومتها؛ الإيرانيون على كل حال مراوغون، ويقولون لكل

الأطراف في المفاوضات ما يريدون سَماعه. وفي نهاية المطاف يواصلون خطّتهم الإيرانية. وتحوّل الصراع بين إيران وإسرائيل من "جيّد" ضد "سيّئ" إلى "صادق" ضد "مخادع".

وظلّ غضب إسرائيل موجودًا، بصورة عامّة، حتى بعد توقيع الاتفاق، ولكنه لم يعد الآن موجهًا إلى إيران. لم يتوقع أحد في إسرائيل العقلانية ما هو أفضل من الإيرانيين اللاعقلانيين (على الرغم من أنه لم تُبذل أي محاولة للتوفيق بين الجانبين المتباينين في التصور الإسرائيلي – المكر المحسوب والالتزام الأيديولوجي غير العقلاني). أصبح الغضب الإسرائيلي الآن موجهًا نحو الولايات المتحدة. وعلى ما يبدو فإن الولايات المتحدة فقدت قدرتها على القيام بدور الوسيط أو الحكَم الأمين في النزاعات الإقليمية. ولم يعد بإمكان إسرائيل الاعتماد على الولايات المتحدة لكي تعمل بالنيابة عنها، حيث يبدو أن إدارة إوباما مستعدة للسماح بأن يصبح الأسود أبيض والعكس بالعكس. المحافظة على مقعدها، على حصانها العالي، الخيالي إلى حد ما، أصبحت الحالة النهائية المرغوبة بالنسبة للاستراتيجية الإسرائيلية. فطالما بقيت إسرائيل نقية وعقلانية وملتزمة (هكذا جرى التسويغ الرئيسي لهذه السياسة) فإن أعداءَنا الشنيعين واللاعقلانيين في إيران، الذين تحرّكهم المصالح، لن يمتلكوا الفرصة الحقيقية لإلحاق الهزيمة بإسرائيل.

لقد ظلّت إسرائيل راغبة في الدفاع عن نقائها من خلال الوسائل العسكرية إذا ما لزم الأمر، وكان قلقها الوحيد مقصوراً على ألاّ تعبر إيران عتبة السلاح النووي. وحالما تمتلك إيران السلاح فإنها ستصبح قريبة من إسرائيل على نحو خطير؛ معزولة في المنطقة لكنها تملك عصًا كبيرة. إسرائيل لا تتحمل منافسة من أي نوع، وقد سعت باستمرار لوسم إيران بأنها دولة مارقة ومعتدية، كما سعت لصبّ غضب العالم على الجمهورية الإسلامية. هذا المنطق الذي ينفي عن إيران أيّ مظهر من مظاهر الحياة السوية هو المنطق نفسه الذي قاد نظام العقوبات الدولية عليها. وقد لعبت إسرائيل دوراً رئيسيًا في تأسيس هذا النظام وتطبيقه.

وبالطبع، عندما بدا الاتفاق النووي أمراً واقعًا، دعا القادة الإسرائيليون إلى تعزيز العقوبات حتى توافق إيران على صفقة تؤيّدها إسرائيل – إغلاق اثنين من المرافق على الأقلّ ووقف تخصيب اليورانيوم بالكامل، وهكذا دواليك. وادعت إسرائيل الرسمية أن العقوبات نجحت، وأنه لا حاجة للاستسلام. هناك حاجة فقط إلى المضيّ قدُمًا في الضغط حتى تحقيق النتيجة المرجوّة – إيران مجرّدة تقريبًا من كل القدرات النووية. إنّ أيّ اتفاق آخر سيكون «سيئًا تاريخيًا».

لقد فشل الموقف الإسرائيلي في الوقت الراهن فشلاً ذريعًا. وعلى الرغم من أن الساسة الإسرائيليين لا يزالون يهدّدون بضربة إسرائيلية مستقلة للمنشآت النووية الإيرانية، إلاّ أن هذه الإمكانية تبدو بعيدة وبعيدة الاحتمال، فالعالم يدعم بوضوح مسار الدبلوماسية مع إيران، ويبدو أنه يمكن أن يتعايش مع البرنامج النووي الإيراني المدني تحت الرقابة الدولية الصارمة.

إن فشل إسرائيل في مواصلة سياستها هو أوسع في نطاقه وأبعاده من القضية الإيرانية وحدها. أصبحت إسرائيل واحدة من الدول الرائدة في التفاوت الاقتصادي، وهي من حيث الفجوة بين الأغنياء والفقراء الدولة الثانية بعد الولايات المتحدة من بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنموي (OECD). إسرائيل تفصل نفسها، عن طيب خاطر، عن العالم، وتبني الجدران والأسوار المحكمة والباهظة على طول حدودها. ويحدث ذلك رغم أن الحدّ الرئيسي، الحدّ مع الدولة الفلسطينية المستقبلية لم يُبَتّ فيه ولم يُرسَم. مؤسسات الدولة تخضع للخصخصة المتفشية، وشبكة الدعم الاجتماعي الشهيرة ذات مرة تبلى وتنسلّ خيوطها في الحواشي. هذان مثالان فقط على الاتجاهات العميقة في المجتمع الإسرائيلي – الانعزال المقصود والنزوع نحو الفروق الاجتماعية والسياسات والتصورات المتطرفة. إسرائيل لا تفاوض ولا تنخرط في الحوار. مواقفها واضحة المعالم وثنائية التفرع. وفي حين تطالب الجمهورية الإسلامية باسترداد حقها الفطريّ بالاعتدال، تبدو إسرائيل مشدودة إلى مطلب الاستثنائية. يبدو أن سياسة التقلّب الراهنة والتطور والملاءَمة تدعم المعتدل الديناميكي أكثر بكثير من الشاذ المتطرف.

[مترجم عن الانكليزية. ترجمة محمد كيال]